



+ آباؤنا القديسون

القديسان بطرس وبولس هامتا الرسل

تأتي الذكرى السنوية لعيد القديسين بطرس وبولس في التاسع والعشرين من شهر حزيران، وتعتبر حدثاً مهماً في الكنيسة وخاصةً بالنسبة لبطيركية انطاكية وسائر المشرق التي يعتبر بطيريكها خليفة في كرسيه للرسل العظمين اللذين يعتبران بحق هامتي الرسل ومؤسسي الكنيسة.

نبدأ بلفت النظر إلى أن معظم تذكارات القديسين مخصصة لكلّ منهم إفرادياً (القديس نيقولاوس، القديس ديمتريوس، القديسة كاترينا، ٠٠٠). هذه الذكرى تجمع القديسين في نهار واحد، وللأمر مغذى كبير وعبرة. لقد كان الرجلان مختلفين في كثير من الأمور؛ فبولس كان ذا ثقافة عالية، وخاصة في مجال الشريعة، بينما كان بطرس شبه أمّي يزاول مهنة صيد السمك. وكان بولس من عائلة ذات نسب رفيع، بينما كان بطرس من عائلة متواضعة. الأوّل كان رومانيّ الجنّة، بينما الثاني كان يهودياً بسيطاً. إلّا أنّ ما يجمع هذين العظمين هو اندفاعهما العظيم وغيرهما وتحملهما المشاق في سبيل البشارة، ومحبتهما، خاصةً لبعضهما البعض، واستشهادهما في سبيل إيمانهما. لذا قليلاً ما نراهما إفرادياً في أيقونات مخصصة لكلّ منهما، وغالباً ما نراهما إمّا في عناق محبّ أو يحملان مجسماً يمثّل الكنيسة.

يعتبر بولس "رسول الأمم" أي المبعوث من يسوع لتبشير غير اليهود (كلمة أمم كانت تعني كلّ من ليس يهودياً). له الفضل في تأسيس الكنائس (الجماعات المسيحية) في أصقاع كثيرة من تركيا وحتى إيطاليا، وبفضله تمّ توضيح الأبعاد الآهوتية لشخص المسيح وعمله الفدائيّ. وله يرجع الفضل في تنظيم الكنائس ومدّها بالعزم والقوة في كنف الأباطورية الرومانية التي كثيراً ما اضطهدتها.

كان يهودياً من سبط بنيامين من أب يهودي، ورث عنه المواطنة الرومانية، ولأنّ ازدواج الأسماء كان شائعاً في الأباطورية الرومانية، حمل بولس اسماً مزدوجاً: شاول/بولس، ليكون الأوّل على شاكلة الملك شاول المتحدّر من السبط نفسه. أمّا يولس الشقّ الثاني من اسمه فيعني الصّغير/القليل، باللاتينية. صار يسمّى نفسه بولس بعد ظهور المسيح له على طريق دمشق، فيما كان ذاهباً إليها كونه فريسيّاً درساً الشريعة، وابن فريسيّ مرشّح لأنّ يصير معلماً بعد أن درس على يد المعلم الكبير غمالاتيل، للقضاء على "البدعة المسيحية" هناك بتكليف من رئيس الكهنة. وفيما كان هذا "الطرسوسي" كونه ولد في طرسوس اليونانية الثقافة ذاهباً إلى دمشق، بغتة أبرق حوله نور من السماء. فسقط أرضاً وسمع صوتاً قائلاً له: "شاول شاول لماذا تضطهدني" (أع ٩: ٣-٤). وعلم أنّه المسيح "فنهض عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً". (أع ٩: ٨). واقتيد إلى دمشق، حيث ذهب لاحقاً



+ آباؤنا القديسون

الرّسول حنانيا، بعد رؤيا وتكليف من يسوع، ليبيّر شاول ويسقط الغشاوة (عمى القلب) عن عينيه ويعمّده. (سفر أعمال الرّسل إصحاح ٩). لذا، نراه يشدّد في رسائله على رحمة الله تجاه جميع البشر، كونه اختبر هذه الرّحمة المعطاة للجميع بدون شرط. وقد بيّن بأنّ الإنسان يتبرّر أمام الله بالإيمان وليس بالأعمال حصراً، لأنّ الخلاص (من الخطيئة، الأنا) معطى مجاناً عبر رحمة الله في المسيح يسوع. ورأى أنّ صليب المسيح هو مجد الله ووسيلة الفداء، ومصالحة النّاس مع الله ومع بعضهم البعض.

أمّا علاقته بإنطاكية، عاصمة سوريا في المنتصف الثاني من القرن الأوّل والمدينة الثالثة في العالم بعد روما والإسكندرية، فهي وثيقة لأنّه جعل منها منطلقاً لأسفاره. وكان الرّسل قد أرسلوا، من أورشليم، برنابا ليرعى الكنيسة فيها، فاختار هو بدوره بولس مساعداً له. "فحدث أنّهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلمّا جمعاً غفيراً، ودعي التلاميذ مسيحيين في انطاكية أولاً." (أع ١١: ٢٦)، وعندما علمت كنيسة انطاكية أنّ في أورشليم جماعة أرسلت إليها المساعدات مع برنابا وبولس.

وبعد عذابات ومشقات كثيرة، كما يصفها في الرّسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (١١ : ٢٤-٢٧)، تمّ سوجه إلى روما حيث استشهد في العام ٦٧، بعد ٣٧ سنة على صلب يسوع وقيامته. ويقول أسقف قيصرية، المؤرّخ العظيم يوسيبوس، أنّ بولس قد أخذ إلى روما على عهد نيرون، ويؤكّد ترتليانوس أنّه قتل هناك بقطع رأسه.

أمّا اسم بطرس الأصليّ فكان سمعان، ويعني "السّماع" بالعبريّة، فيما اسم بطرس، المعطى له من المسيح، مأخوذ من كلمة Petros اليونانيّة وتعني "الصّخر". كان صياد سمك ماهراً، رأى فيه يسوع بذار تلميذ غيّر وقائد لإخوته. مكارس الصّيد على بحيرة الجليل وكان أحد أوّل تلامذة الرّب، ليصير فيما بعد مقرباً منه وملازماً له. سكن بطرس في كفرناحوم مع عائلته، وصار بيته منطلقاً لبشارة المسيح في الجوار. دعاه الرّب لاتباعه مع أتراب له، واستدعاهم من مهنة كانوا يبرعون في مزاولتها لكي يزاولوا ما هو أسمى منها.

شخصيته شخصيّة طفل في براءة قلبه فيما كان اندفاعه وعناده وغيرته وجرأته تماثل الصّخر في ثباته. كان أول من اعترف بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، وبسبب غيرته ومحبته ليسوع عاند غسل الرّب لرجليه، إلاّ أنّ حماسه دفعه إلى إنكاره إبّان الصّلب. امتاز بالتواضع والحبّة الظّاهرين في رسالتيه.



+ آباؤنا القديسون

بعد قيامة الرب، أثار بطرس موضوع استبدال يهوذا الاسخريوطي بآخر ليكتمل عدد الرسل، فيصبحون مجددا اثني عشر، فاقترح الاخوة اسمي يوسف الملقب يوستس ومتياس واقترحوا "فأصابت القرعة متياس فانضم إلى الإثني عشر". (أع ١: ٢٦). وبعد العنصرة توجه بطرس نحو الجموع، وكان أول من اجترح العجائب باسم يسوع ك\متكلما بجرأة أمام مجمع اليهود الأعلى. وبعد أن أكمل الجهاد كليله الرب بالشهادة فصلب في العام ٦٥ في روما "رأسه إلى أسفل"، بعد أن رفض أن يصلب بالعكس لأنه اعتبر هذا شرفا لا يستحقه: أن يماتل سيده.

ويعتبر بطرس بحسب تقليد الكنيسة، المؤسس الأول لكرسي انطاكية. (أع ٢: ٢٦). وهناك صار الخلاف بينه وبين بولس حول ضرورة ختانة المسيحيين من غير اليهود، ليحل الأمر في مجمع أورشليم باتباع حكم الرسول يعقوب الذي أجاز رأي بولس لجهة عدم إجراء الختان لهم. وقد قبل بولس بفرح، رافعا رأسه، بالاتضاع، ليصبح من قواد الجماعة المسيحية بما له من اندفاع ومحبة. ويعتبر القديس أغناطيوس الأنطاكي أول أسقف يخلف الرسولين. تجدر الإشارة إلى أن فهم الكنيسة الأرثوذكسية لمركز بطرس، بعد أن أعطاه الرب "مفاتيح الملكوت" وأقامه صخرة للكنيسة، هو أن هذا الشرف معطى لكل أسقف معترف بالرب وبعمله وبلاهوته، ليكون الأمر دالا على أن كلاً منهم هو "بطرس" - صخرة-، إن اعترف برؤية يسوع وسلطانه.

وككنيسة انطاكية، نشير إلى أهمية إيلاء ذكرى القديسين بطرس وبولس المجيدة المكانة التي تستحقها في حياتنا الكنسية، لأنها بحق، ذكرى الهامتين اللذين أسسا بإنجيل الرب كنيستنا في هذه البقعة من العالم. ونختتم هذه الملاحظة بالإشارة الطريفة إلى أن الجسم، عادة، هامة واحدة، أما لإنطاكية، الكنيسة الواحدة، هامتين، للدلالة على أن المحبة تجمع الأفكار وإن تباعدت، إن وضع المحب نصب عينيه سلطان الرب عليه ومصحة الإخوة قبل مصلحته. ولنا في هذا عبرة كبيرة في زمن الأنا والمجتمع الاستهلاكي وطغيان المصلحة الفردية والتعصبات الضيقة: نحن مدعوون اليوم لنكون على مثال الإثنيين بالاندفاع والغيرة والصحو والبذل والمحبة والتواضع، علنا نسمع كلمات الرب مرجعة إلينا: "أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة (الإيمان)، أبني كنيسي".